

المساندة الاجتماعية وآليات التكيف للمرأة الليبية المتزوجة من أجنبي "دراسة متعددة الحالات"

Social Support and Coping Mechanisms for Libyan Women Married to "Foreigners : A Multiple-Case Study"

Dr. Zahra Salem Ali Qashqash

د/ زهرة سالم علي قشقش

Department of Psychology, Faculty of
Arts and Languages, University of
Tripoli, Tripoli, Libya

قسم علم النفس، كلية الآداب واللغات، جامعة
طرابلس، طرابلس، ليبيا

Z.gashgash@uot.edu.ly

مستخلص الدراسة:

سعت هذه الدراسة إلى استكشاف واقع المساندة الاجتماعية وآليات التكيف لدى المرأة الليبية المتزوجة من غير ليبي؛ وجاء ذلك نظراً لعدم وضوح حجم وطبيعة الدعم النفسي والاجتماعي الذي تتلقاه الزوجة في هذا السياق، والرغبة في فهم الآثار المترتبة على وجود هذا الدعم أو غيابه على استقرارها النفسي وقدرتها على مواجهة التحديات.

وتحقيقاً لهذا الهدف، اعتمدت الدراسة على المنهج الكيفي (النوعي) بتطبيق أسلوب "دراسة الحالة"؛ وذلك بغية الغوص في تفاصيل التجارب الحية للزوجات، واستكشاف استراتيجيات التكيف التي يتبنينها، فضلاً عن قراءة وفهم أبعاد شبكات المساندة المحيطة بهن، بما يتماشى مع الخصوصية الثقافية للمجتمع الليبي".

وأظهرت نتائج المقابلات المعمقة مع الحالات بأن المساندة الاجتماعية تشكل ركيزة محورية تمنح المرأة خط دفاع وقائي وعلاجي في هذا النمط من الزواج. كما بينت الدراسة أن تفعيل آليات التكيف الإيجابية يسهم بشكل مباشر في تخفيف وطأة الضغوط النفسية والمعاناة اليومية، فضلاً عن دورها في الحد من الأعراض المرضية، وإشباع الحاجة للأمان النفسي، وتعزيز تقدير الذات لدى الزوجات.

الكلمات المفتاحية: المساندة الاجتماعية _ آليات التكيف _ المرأة الليبية _ أجنبي.

Abstract

This study aims to explore the reality of social support and coping mechanisms among Libyan women married to non-Libyans. This focus was motivated by the lack of clarity regarding the extent and nature of psychological and social support received by wives in this context, as well as the need to understand the implications of the presence or absence of such support on their psychological stability and ability to cope with life challenges.

To achieve this aim, the study adopted a qualitative approach using a case study method, in order to gain in-depth insight into the lived experiences of the participants. It also sought to explore the coping strategies they employ and to examine the dimensions of the support networks surrounding them, in line with the cultural specificities of Libyan society.

The findings of in-depth interviews with the cases revealed that social support constitutes a central pillar that provides women with both a protective and therapeutic buffer in this type of marriage. The study also showed that the activation of positive coping mechanisms directly contributes to reducing psychological stress and daily hardship, as well as alleviating symptoms of distress, satisfying the need for psychological security, and enhancing self-esteem among the participants.

Keywords: Social support, coping mechanisms, Libyan women, foreign spouse.

المقدمة:

تعد المساندة الاجتماعية أحد الركائز الأساسية التي يقوم عليها الاستقرار النفسي والاجتماعي للفرد فهي تمثل "شبكة الأمان" التي يلجأ إليها الإنسان لمواجهة ضغوط الحياة وتحدياتها.

وفي سياق العلاقات الزوجية تزداد أهمية هذه المساندة باعتبارها المحرك الرئيس للتكيف مع المتغيرات الجديدة، خاصة عندما تخرج هذه العلاقة عن نطاقها المحلي المألوف لتدخل في حيز "الزواج المختلط" أو الزواج من أجنبي.

حيث تشير الأدبيات إلى أن الزواج من أجنبي قد يواجه إشكاليات قانونية وثقافية واجتماعية، خاصة بالنسبة للزوجة، الأمر الذي يجعلها أكثر حاجة إلى المساندة الاجتماعية لتحقيق التكيف والاستقرار.

وأن النساء اللاتي يعشن في سياقات زواج مختلط ثقافياً يواجهن تحديات في الاندماج الاجتماعي، مما يزيد من حاجتهن للدعم النفسي الاجتماعي.

لذلك كان من المهم حصول الفتاة المقبلة على الزواج من أجنبي على المساندة الاجتماعية من قبل الأهل أو الأقارب، باعتبارهم مصدراً من مصادر الدعم الاجتماعي الفعال الذي تحتاجه تلك الفتاة.

حيث إن واقع البحث في زواج الليبيات من غير الليبي يلاقي صعوبات جمة كندرة الأبحاث العلمية النفسية منها والاجتماعية، وقلة المراجع الأكاديمية التي تتعلق بموضوع الزواج من الأجانب، باستثناء بعض الدراسات العربية والليبية والتي اهتمت بالجوانب القانونية والتشريعية، الأمر الذي يُبرز وجود فجوة بحثية واضحة تسعى الدراسة الحالية إلى معالجتها بتناول المساندة الاجتماعية وآليات التكيف للمرأة الليبية المتزوجة من أجنبي.

مشكلة الدراسة:

يشهد المجتمع الليبي كغيره من المجتمعات العربية تحولات اجتماعية وثقافية أدت إلى تزايد ظاهرة زواج الليبيين من غير الليبيين وعلى الرغم من أن هذا النوع من الارتباط يفتح آفاقاً لتبادل الثقافات، إلا أنه يضع المرأة الليبية أمام تحديات مركبة تتجاوز حدود العلاقة الزوجية التقليدية. فهي لا تواجه فقط تحديات التأقلم مع شريك من ثقافة مختلفة، بل قد تجد نفسها في مواجهة نسق قيمي واجتماعي وقانوني يتطلب نوعاً خاصاً من الدعم والاحتواء.

وهنا تبرز المساندة الاجتماعية كأحد العوامل الأساسية التي تسهم في تعزيز التكيف والحد من الضغوط النفسية، من خلال ما توفره من دعم عاطفي ومادي ومعنوي.

حيث يؤثر حجم المساندة الاجتماعية، ومستوى الرضا عنها في كيفية إدراك الفرد لضغوط الحياة المختلفة وأساليب مواجهته وتعامله مع هذه الضغوط، كما أنها تلعب دوراً هاماً في إشباع الحاجة للأمن النفس، وخفض مستوى المعاناة الناتجة عن شدة الأحداث الضاغطة وذات أثر في تخفيف حدة الأعراض المرضية (عبد الله، 1995، 473).

كما تتنوع مصادر المساندة الاجتماعية وفقاً للظروف المختلفة التي تتعرض لها الزوجة، وقد تجمع الدراسات على مصدرين هامين هما (الأسرة- الأصدقاء) ولكن يمكن تحديد تسعة مصادر للمساندة الاجتماعية وهي الزوج، والأسرة، والأقارب، والأصدقاء، والجيران، وزملاء العمل والمدرسة، ومقدمو الرعاية، والمعالج، ورجال الدين، وتختلف مصادر وأطراف المساندة على حسب المواقف.

فالأسرة لازالت تشكل المصدر الأساسي لدعم أبناءها في حل المشكلات والأزمات طويلة المدى، فهي السند العاطفي الذي يستمد منه الفرد من أسرته ويساعده على التفاعل الإيجابي مع الأحداث الضاغطة سواء مع البيئة المحيطة به أو متطلباتها.

فقد تحتاج الزوجة في مثل هذه الظروف إلى مد يد العون والمساعدة والمساندة للإحساس والشعور بالأمن والأمان النفسي، لا سيما في ظل تعرض بعض الزوجات لخبرات أليمة ومواقف رفض من قبل الأسرة أو المحيط الاجتماعي.

فالمساندة الاجتماعية تزيد من قدرة الزوجة على المقاومة، والتغلب على الإحباطات وحل المشكلات، وتخفف عواقب الصدمة النفسية وتساعد على تحمل المسؤولية وتجعلها تقدر ذاتها وتحقق لها التوافق النفسي والاجتماعي.

فالحصول على المساندة الاجتماعية يُشعر الزوجة بالرعاية والمساعدة من المحيطين بها وأن تعتبر نفسها فرداً ضمن شبكة اجتماعية داعمة، وقد تتنوع المصادر الداعمة لها فقد تكون عاطفية كالحنان، أو محسوسة كالمساعدة المالية، أو إعلامية كتقديم المشورة، أو أن تكون بشكل رفقة كالشعور بالانتماء.

أن المساندة الاجتماعية تعمل على حماية الزوجة من سيطرة الضغط النفسي وتأثيره السلبي، كما أن لها تأثير مفيد على الحياة بصفة عامة سواء كان تحت تأثير الضغط أم لا؛ إذ أنها تحد من احتمالية وقوع الحدث الضاغط.

ويمكن القول إن غياب المساندة أو انخفاض مستوى المساندة خاصة من الأسرة وجماعة الرفاق، يمكن أن يؤدي إلى الكثير من المشكلات التي منها ظهور الاستجابات السلبية في مواجهة الضغوط النفسية، والمواقف السيئة التي يتعرض لها الفرد مما قد يؤدي إلى اضطراب الصحة النفسية (فايد، 1998: 164).

ورغم أهمية هذا المتغير إلا أن واقع المساندة الاجتماعية التي تتلقاها الزوجات الليبيات في سياق الزواج من أجنبي لا يزال غير واضح بشكل كافٍ، خاصة في ظل خصوصية المجتمع الليبي الذي يتسم بترابط أسري قوي، قد يكون داعماً في بعض الحالات، أو ضاعطاً في حالات أخرى.

و تسعى الدراسة الحالية إلى استكشافه بعمق من خلال منهج نوعي قائم على "دراسة الحالة" بتناول المساندة الاجتماعية وآليات التكيف للمرأة الليبية المتزوجة من أجنبي.

وفي ضوء ما سبق يمكن تحديد مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:-

س1- ما مستوى المساندة الاجتماعية التي تتلقاها المرأة الليبية المتزوجة من أجنبي؟.

ويتفرع عن هذا التساؤل عدد من التساؤلات الفرعية التالية:

س2- ما مصادر المساندة الاجتماعية التي تتلقاها هذه الفئة من الزوجات؟.

س3- ما أبرز التحديات التي تواجه الزوجات في هذا النوع من الزواج؟.

س4- كيف تسهم المساندة الاجتماعية وآليات التكيف في تحسين حياتهن النفسية والاجتماعية في إطار هذا النوع من الزواج؟.

أهداف الدراسة:

1- الكشف عن مستوى المساندة الاجتماعية التي تتلقاها الزوجات الليبيات المتزوجات من غير الليبيين في تحسين حياتهن اليومية.

2- تحديد مصادر هذه المساندة (الزوج، الأسرة، الأصدقاء، المجتمع) ومدى إسهام كل منها في دعم الزوجة.

3- التعرف على طبيعة التحديات التي تواجه الزوجات الليبيات في إطار الزواج من أجنبي.

4- التعرف على مدى إسهام المساندة الاجتماعية وآليات التكيف في تحسين حياتهن النفسية والاجتماعية في إطار الزواج من أجنبي؟.

أهمية الدراسة: تسعى هذه الدراسة لمحاولة فهم كيف تؤثر "المساندة الاجتماعية" سواء كانت من الأسرة، الأصدقاء، أو المؤسسات في جودة حياة الزوجة الليبية المرتبطة بأجنبي، ففي كثير من الأحيان قد تتعرض هذه الفئة لنوع من العزلة الاجتماعية أو الضغط المجتمعي، الناتج عن التصورات النمطية حول هذا الزواج، بالإضافة إلى التحديات القانونية المتعلقة بحقوق الأبناء والمواطنة، مما يجعل من وجود مصدر دعم قوي ضرورة لا غنى عنها لتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي.

مصطلحات الدراسة:

تعرف المساندة الاجتماعية:- بأنها الحصول على المعلومات من الأشخاص الذين يشعر الفرد نحوهم بالحب والاهتمام، والاحترام، والتقدير، ويشكلون جزءاً من دائرة علاقاته الاجتماعية، ويرتبط معهم بمجموعة من الالتزامات المتبادلة، مثل: الوالدين، الزوج، الأولاد، الأقرباء، والأصدقاء (تايلور، 2008: 445).

تعرف المساندة الاجتماعية إجرائياً:- بأنها تعبر عن مدى وجود أشخاص يمكن للمرأة المتزوجة أن تثق فيهم، وتعتقد أن بوسعها أن يعتنوا بها ويقفوا بجانبها عند الحاجة، وأن يكون لديها درجة من الرضا عن المساندة المقدمة لها.

تعريف آليات التكيف:- هي الطرق والإجراءات المعرفية والسلوكية التي يستخدمها الأفراد بهدف التعامل مع الضغوط والمواقف الصعبة أو غير المرغوبة، وتحقيق السيطرة النفسية أو الحد من التأثيرات السلبية لهذه المواقف على صحتهم النفسية وسلوكهم. (غباري، 2013)

يعرف الزواج:- هو اتحاد اجتماعي وقانوني دائم أو طويل المدى بين رجل وامرأة يُنظم بموجب قواعد وقوانين المجتمع، ويُسهم في تكوين الأسرة، وتحديد الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، كما يُنظم العلاقة الجنسية والإنجابية بينهما ضمن إطار اجتماعي معترف به. (عصمت، 2016: 12)

يعرف الزواج بأجنبي إجرائياً:- هو زواج برابط عقد شرعي قانوني بين زوجين أحدهما وطني والآخر عربي أو أجنبي.

حدود مجالات الدراسة:

المجال الجغرافي: أجريت الدراسة في مدينة طرابلس.

المجال البشري: يتمثل المجال البشري في النساء الليبيات المتزوجات من الأجانب اللاتي تم التوصل إليهن والمقيمات بمدينة طرابلس وقت إجراء الدراسة.

المجال الزمني: أجريت الدراسة في الفترة من (2-10-2025) إلى (21-3-2026).

الدراسات السابقة: وسيتم عرض لما أمكن الحصول عليه من الدراسات السابقة.

تتطرق حمي (2024) إلى قضية الزواج من غير الليبيين، متناولاً موقف الشريعة الإسلامية والقانون الليبي، والمفاسد والآثار المترتبة عليه، استعرض بذلك التحديات الدينية، الاجتماعية، والقانونية، المتزايدة التي تؤثر على النسيج الاجتماعي الليبي ويقدم تدابير وقائية لمعالجة هذه التحديات من خلال تحليل شامل، كما يهدف البحث إلى توفير فهم عميق للتحديات واقتراح حلول للمشكلات المتعلقة بالزواج من غير الليبيين، منها تقديم حلول مستدامة تحافظ على النسيج الاجتماعي الليبي وتدعم الاستقرار الأسري والوحدة الوطنية.

وفي سياق متصل أهتمت صكح و الحبيشي (2022) بتقديم تصور مقترح للحد من الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على زواج الليبية من أجنبي من منظور مهنة الخدمة الاجتماعية، من خلال التعرف على أهم الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على زواج الفتاة الليبية من أجنبي، حيث تم الإجابة على تساؤلات البحث من خلال استخدام النظرية التفاعلية الرمزية في دراسة الأسرة والمنهج الوصفي التحليلي والذي يتناسب مع الموضوع، وقد توصل البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات أهمها عدم تمتع الأبناء وأمهاتهم المتزوجات من الأجانب بكافة حقوقهم، سوء العلاقة الأسرية بين الفتاة وأهلها بعد زواجها بغير ليبي قد

يضطرها لخسارة أهلها والعيش بعيداً عنهم، عدم وجود قانون فعلي لإعطاء حق المواطنة لأبناء المرأة الليبية المتزوجة من غير الليبي، وبناء على هذه الاستنتاجات تم وضع تصور مقترح للحد من الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على زواج الفتاة الليبية من أجنبي من منظور مهنة الخدمة الاجتماعية.

ومن زاوية أخرى تناول الرجباني (2022) مبدأ المساواة وإشكالية جواز منح أبناء الليبيات المتزوجات من الأجانب الجنسية الليبية؛ في محاولة منه للكشف عن مدى الالتزام بمبدأ المساواة بالمواثيق والاتفاقيات الدولية التي تُعد ليبيا عضواً أساسياً فيها، والإعلان الدستوري المؤقت، وواقع نفاذ القانون رقم 24 لسنة 2010م، بشأن الجنسية الليبية. فقد تم اعتماد المنهج الوصفي وذلك من خلال استخدام المدخل القانوني، ومدخل الثقافة السياسية لتحقيق التكامل المنهجي، وبناء على ذلك تم الوصول إلى عدة نتائج أهمها: إن مبدأ المساواة يشمل عدة مجالات سياسية واقتصادية واجتماعية، وأن الجنسية حق للإنسان يخوله ممارسة حقوقه المدنية والسياسية، فالدولة لها الحق في تنظيم جنسيتها وفقاً لظروفها ومصالحها؛ ولكن مع مراعاة التزاماتها الدولية والعرف الدولي والمبادئ القانونية المتعارف عليها بشأن تنظيم أحكام الجنسية. وأن عدم تفعيل الرقم الوطني للزوجة الليبية المتزوجة من أجنبي أدى إلى حرمانها من حق المشاركة السياسية في انتخابات هيئة صياغة الدستور والبرلمان الليبي في عام 2014م.

وفي مقابل ذلك ركزت دراسة الصيد (2021) عن ظاهرة زواج النساء الليبيات من جنسيات أجنبية عربية وإفريقية بالجنوب الليبي 2019م، وهدفت إلى التعرف على المشاكل الثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية، والإدارية، والقانونية، والمطالب الأساسية للمرأة الليبية، وانطلقت الدراسة من فرضية عامة مؤداها أن المرأة الليبية المتزوجة من الأجنبي تواجه مشاكل عديدة تختلف باختلاف خصائصها الديموغرافية والاجتماعية، واستندت على المنهج الوصفي التحليلي، وطبق الاستبيان على عينة قوامها (125) مفردة من النساء الليبيات المقيمات بالجنوب الليبي، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها، أن المشكلات التي تواجهها المرأة تتقارب من حيث التأثير، كذلك وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بينها وبين الحالة الاجتماعية، ومحل الإقامة.

وعلى النقيض من ذلك ركزت دراسة بسيس (2021) في البحث عن قواعد قانونية تتولى تنظيم العلاقات القانونية المشتعلة على عنصر أجنبي، من خلال طرح "إشكاليات زواج الليبيات من الأجانب بين القانون الليبي والالتزامات الدولية" حق أولاد الزوجة الليبية في الحصول على جنسية الأم أنموذج "حيث تم استخدام المنهج التحليلي، وذلك من خلال تحليل مضامين النصوص القانونية الوطنية ذات العلاقة، والمنهج النقدي كلما تطلب الأمر ذلك، وقد توصلت إلى النتائج التالية:

أ - إن المشرع الليبي في القانون رقم 24 لسنة 2010م، بشأن أحكام الجنسية قد أجاز منح الجنسية لأولاد المواطنين الليبيات المتزوجات من غير الليبيين، إلا أنه علق ذلك على موافقة الجهة التنفيذية وتقديرها.

ب - إن المشرع عالج وضع عديمي الجنسية اللقطاء والأولاد الغير شرعيين وأعطاهم حق الحصول على الجنسية باعترافه بدور الأم بشكل استثنائي في نقل جنسيتها للأولاد بناء على حق الدم من جهة الأم مدعماً بحق الإقليم.

ج - ضرورة إجراء بعض تعديلات على قانون الجنسية وإقرار مبدأ المساواة بين الأب والأم في مجال نقل الجنسية الأصلية للأولاد.

وعلاوة على ما سبق بحثت الهنشيرى (2020) في "مشكلات الزواج المختلط في مدينة يفرن"، من أجل استكشاف حجم انتشار هذه الظاهرة في المجتمع، ومعرفة أهم الأسباب التي تدفع الليبيات إلى الزواج من الأجانب، والمشكلات الناجمة عن هذا الزواج. وقد تم استخدام منهج "دراسة الحالة"، بدراسة ستة حالات من السيدات الليبيات المتزوجات بأجانب عن طريق أسلوب عينة (كرات الثلج)، وتم جمع البيانات عن طريق المقابلة الشخصية، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

أ – إن هذه الظاهرة مازالت محدودة الانتشار في المجتمع، وأن تأخر سن الزواج من أهم أسباب زواج الليبيات من الأجانب.

ب – إن انتشار وسائل الاتصال الحديثة له دور في حدوث هذا الزواج.

ج – إن أهم المشكلات التي تواجه الليبيات المتزوجات بالأجانب هو عدم حصولهن على حقوقهن القانونية، وحقوق أبنائهن بسبب عدم تمكنهم من الحصول على الجنسية الليبية، وما يرتبط بها من حقوق مدنية كالحق في التعليم والرعاية الصحية المجانية وغيرها من الحقوق الأساسية.

ولم تقتصر الجهود على ذلك، بل أضافت دراسة (قشقش، الحاج، 2020) أبعاداً جديدة لمعرفة الآثار النفسية والاجتماعية للزواج المختلط في المجتمع الليبي، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج النوعي (دراسة الحالة)، مستخدمة المقابلة الشخصية كأداة رئيسة لجمع البيانات والمعلومات المطلوبة. شملت عينة الدراسة الاستطلاعية (10) نساء متزوجات من غير الليبيين للوقوف على خصائصهن الديمغرافية، في حين تكونت العينة الأساسية للدراسة من أربعة حالات جرى اختيارهن من مجتمع البحث. وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن عدم استمرار هذا الزواج يؤدي بالتبعية إلى زيادة معدلات الطلاق نتيجة لرفض أسرة الزوجة لهذه العلاقة. كما أظهرت النتائج وقوع الزوجة تحت وطأة الضغوط النفسية والصراعات، وتحملها المشاق المترتبة على اختلاف الثقافات والعادات بين الزوجين، وما يتبع ذلك من قطيعة اجتماعية بين الزوجة وعائلتها. علاوة على ذلك برز الخوف من المستقبل كعامل مقلق، لاسيما في حال وفاة الزوج والمشكلات المتوقعة مع أسرته حول الأبناء والميراث. بالإضافة إلى شعور الأبناء بالاغتراب كأجانب في بلد الأم وحرمانهم من حضانتها، أو حماية ورعاية الأب في حالة انفصال الأبوين، خاصة إذا قرر أحدهما العودة والعيش في بلده الأصلي بعد الانفصال.

وفي سياق متصل تناول النعمي (2018) دراسة ظاهرة زواج الليبيات من الأجانب، من أجل تحديد أسبابها وآثارها الاجتماعية. استخدم المنهج الوصفي، وتم تطبيق الاستبيان كأداة لجمع البيانات على عينة عمدية قوامها (100) امرأة من الليبيات المتزوجات بالأجانب أثناء ترددهم على مكتب الشؤون الاجتماعية، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج نذكر منها، ضعف الروابط الاجتماعية بين الزوجة والأسر الأخرى في محيطها، المعاناة من النظرة الدونية.

وعلاوة على ما سبق بحثت دراسة سامية ابرير (2020) عن الامتزاج الثقافي والزواج المختلط، إلى أن الزواج المختلط يمثل بيئة تفاعلية تتداخل فيها القيم الثقافية والاجتماعية بين الزوجين، مما يفرض على الأسرة الناشئة أنماط جديدة من التكيف الاجتماعي، وبطبيعة الحال سيؤثر الزواج المختلط بطريقة أو بأخرى على المجتمع كونه أحد أهم العوامل المحدثة للامتزاج الثقافي كاستجابة تكيفية في الأسرة الناشئة عنه، فالامتزاج الثقافي هو ذلك التداخل والاختلاط في الممارسات الثقافية المتمثلة في القيم والمعايير والعادات والتقاليد و أسلوب الحياة لشخصين لهما ثقافتين مختلفتين.

يلاحظ أن معظم الدراسات السابقة: ركزت على الجوانب القانونية أو الوصفية العامة للمشكلات, كما تناولت الزواج من اجنبي كظاهرة اجتماعية كلية, دون التعمق في البعد النفسي والاجتماعي الدقيق, خاصةً المساندة الاجتماعية وآليات التكيف, باعتبارهما متغيرين محوريين في استقرار الحياة الزوجية.

بناءً على ما تقدم, تتمثل الفجوة البحثية في غياب الدراسات النفسية المعمقة لواقع المساندة الاجتماعية وآليات التكيف للمرأة الليبية المتزوجة من أجنبي, لاسيما من خلال المنهج النوعي الذي يركز على الخبرات الذاتية واستكشاف منظومة الدعم الأسري والمجمعي المتاحة لهن.

صعوبات الدراسة: تجدر الإشارة هنا إلى بعض الصعوبات التي واجهتنا أثناء إعداد هذه الدراسة والمتمثلة في صعوبة الحصول على المعلومات الكافية ذات العلاقة بالدراسات النفسية, كما أن جل الدراسات العربية والليبية التي تم الحصول عليها كانت دراسات قانونية, تبحث في المواضيع الفقهية, والتشريعية, والنصوص القانونية, والاتفاقيات الدولية, ومقارنة القوانين الدولية.

الإجراءات المنهجية للدراسة:

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج النوعي, لملاءمته لطبيعة الموضوع حيث يهدف هذا المنهج إلى فهم الظواهر الإنسانية والاجتماعية من خلال التعمق في الخبرات والتجارب الحياتية للأفراد والكشف عن المعاني والتفسيرات المرتبطة بها. كما استخدم أسلوب "دراسة الحالة" باعتباره من أكثر الأساليب ملائمة لدراسة, إذ يتيح فهمًا معمقًا لواقع المساندة الاجتماعية وآليات التكيف للمرأة الليبية المتزوجة من أجنبي, والكشف عن طبيعة التحديات والخبرات التي يعيشها داخل أسرهن ومجتمعهن.

مجتمع الدراسة: يتكون مجتمع الدراسة من جميع النساء الليبيات المتزوجات من الأجانب اللاتي تم التوصل إليهن والمقيمات بمدينة طرابلس وقت إجراء الدراسة.

العينة وأسلوب اختيارها:

نظراً لمحدودية الإمكانيات المتاحة, وشح البيانات المتعلقة بعدد الزوجات المختلطة (التي تكون فيها الزوجة ليبية والزوج اجنبي), وتأسيساً على ذلك, اعتمدت الباحثة على العينة غير الاحتمالية (غير العشوائية) باستخدام أسلوب "كرة الثلج", وهو الأسلوب الأمثل في حالة عدم توفر إطار مجتمع الدراسة. تم الوصول إلى عدد من النساء الليبيات المتزوجات من أجانب, واللواتي ساهمن بدورهن في دعوة نظيراتهن للمشاركة, كما تم الاعتماد على أسلوب "دراسة الحالة" بالتطبيق على ستة حالات زواج مختلط لضمان فهم أكثر عمقاً للظاهرة.

أداة جمع البيانات:

اعتمدت الدراسة على أداة (المقابلة شبه المقننة) كأداة رئيسة لجمع البيانات, نظراً لقدرتها على توفير معلومات تفصيلية وعميقة.

كما تمنح هذه الأداة المرونة لطرح أسئلة محددة مسبقاً, مع حرية التوسع والتعمق بناءً على إجابات وتفاعلات الزوجات, التي تسمح لهن بالتعبير الحر عن آرائهن وتجاربهن المتعلقة بالمساندة الاجتماعية وآليات التكيف في ظل الزواج من اجنبي.

محاور دليل المقابلة شبه المقننة: تم إعداد دليل المقابلة في ضوء أهداف الدراسة وتسألاتها, وتضمن المحاور الآتية:

- 1- البيانات الأولية المتعلقة بالحالة.
 - 2- طبيعة العلاقة الأسرية والاجتماعية بعد الزواج.
 - 3- مستوى الدعم الذي تتلقاه الزوجة من الأسرة.
 - 4- الدعم المقدم من الزوج و المجتمع المحيط.
 - 5- أشكال المساندة الاجتماعية (العاطفية- المعنوية- المادية).
 - 6- أبرز المشكلات والتحديات النفسية والاجتماعية التي تواجه الزوجة.
 - 7- الأساليب التي تعتمد عليها الزوجة في التكيف مع ظروف الزواج من اجنبي.
- الخصائص السيكمترية للأداة:** نظرًا لاعتماد الدراسة على (المقابلة شبه المقننة), تم التأكد من صدق الأداة من خلال:

- 1- **الصدق الظاهري:** تم عرض أسئلة المقابلة على مجموعة من المحكمين المختصين؛ للتأكد من مدى ملاءمتها لأهداف الدراسة وسلامة صياغتها.
 - 2- **صدق المحتوى:** تم إعداد محاور المقابلة استنادًا إلى الأدبيات النظرية المتعلقة بالمساندة الاجتماعية وآليات التكيف في ظل الزواج من اجنبي.
- إجراءات الدراسة:** تم اتباع الخطوات الآتية:

- 1- الاطلاع على الأدبيات النظرية والدراسات السابقة المرتبطة بموضوع الدراسة.
- 2- إعداد دليل المقابلة بصورته الأولية.
- 3- عرض الأداة على المحكمين وإجراء التعديلات اللازمة.
- 4- اختيار الحالات المناسبة وفق معايير الدراسة.
- 5- إجراء المقابلات مع الزوجات في بيئة مناسبة تتسم بالخصوصية والراحة النفسية.
- 6- تسجيل البيانات وتفرغها كتابيًا بعد الحصول على موافقة الزوجات.
- 7- تحليل البيانات واستخلاص النتائج.

تم الاعتماد في دراسة الحالات على نموذج وصفي تحليلي يهدف إلى جمع معلومات شاملة حول الخبرات النفسية والاجتماعية للحالات, من خلال التركيز على الخلفية الاجتماعية وطبيعة الزواج من أجنبي, وأشكال المساندة الاجتماعية, وإلى أي مدى يسهم تلقي المساندة الاجتماعية في تحسين حياتهن النفسية والاجتماعية, وكذلك التحديات النفسية والاجتماعية المرتبطة بها, تم تحليل هذه المعطيات وتفسيرها في ظل الأدبيات النظرية.

وسوف نستعرض الحالات ذات العلاقة بالدراسة: وتوضيح كيف أثر وجود هذه المساندة أو غيابها على آليات التكيف وواقع الحالة ونفسياتها.

الحالة الأولى: تتلقى "مساندة اجتماعية متفاوتة وغير متوازنة".

1. **البيانات الأولية للحالة:** سيدة ليبية تبلغ من العمر (35) عاماً، حاصلة على مؤهل جامعي، وتعمل في إحدى المؤسسات التعليمية، متزوجة منذ خمسة سنوات، من مواطن تركي الجنسية يعمل مستثمر في قطاع الملابس، وقد أنمر زواجهما عن طفلين.

2. **خلفية الحالة:** نشأت في أسرة متعلمة ومنفتحة على الثقافات المختلفة مع والديها وأشقائها الخمسة، حيث اعتاد أفراد الأسرة السفر والإقامة خارج ليبيا والتعامل المستمر مع جنسيات متعددة بحكم طبيعة عمل الوالد.

3. **وصف الواقع النفسي والاجتماعي:** أشارت الحالة إلى أن قرار ارتباطها بزوجها نبع من طموحها واستقلالياتها، إلا أن هذا القرار قوبل بالرفض من بعض أفراد أسرتها في المرحلة الأولى؛ بسبب اختلاف الجنسية والخوف من اختلاف العادات والتقاليد. هذا الرفض الأسري سبب لها شعوراً بالحزن والتوتر النفسي جراء الضغوط التي تعرضت لها لإلغاء فكرة الزواج.

وعلى الرغم من أن موقف الأسرة بدأ يتغير تدريجياً بعد الزواج، إلا أن بعض الأقارب ظلوا يتعاملون معها بنوع من التحفظ، مما جعلها تشعر أحياناً بعدم الاندماج الكامل في محيطها الاجتماعي، خصوصاً أثناء المناسبات العائلية والاجتماعية. أما على مستوى المجتمع العريض، فقد تعرضت لبعض التعليقات السلبية المرتبطة بنظرية المجتمع التقليدية للزواج المختلط.

4. **المساندة الاجتماعية:** أوضحت الحالة أن المساندة الاجتماعية في حياتها تنقسم بالتفاوت؛ حيث تمثل والدتها المصدر الأساسي للدعم النفسي والمعنوي والمؤازرة عند الأزمات. كما تلقت دعماً عاطفياً قوياً من زوجها الذي يمثل ركيزة أمان محورية من خلال تفهمه العميق لطبيعة المشاعر والضغوط التي تمر بها. في المقابل، يغيب هذا الدعم من جانب الأقارب والمحيط الاجتماعي العريض الذين يتبنون مواقف متحفظة أو سلبية.

5. **التحديات التي تواجه الحالة:** تمثلت أبرز التحديات في القلق النفسي المستمر المرتبط بمستقبل الأبناء، والتعقيدات القانونية والإدارية المتعلقة بمعاملات الإقامة والجنسية الخاصة بهم. يضاف إلى ذلك، الضغوط النفسية والشعور بالضيق الناتج عن نظرة المجتمع للزواج المختلط، مما يفرض على الحالة تحدياً إضافياً في إدارة علاقاتها الاجتماعية المتوترة وتجنب الاحتكاكات السلبية.

6. **أساليب التكيف:** تواجه الحالة هذه التحديات عبر استراتيجية "التركيز الداخلي والتحصين الأسري"، وهي من أساليب التكيف النشط أو الإيجابي؛ إذ تُوجه طاقتها نحو استقرار أسرتها الصغير ورعاية أبنائها، مستخدمة الانشغال التام بالعمل كآلية دفاعية للتفريغ النفسي. كما تعتمد على "الانتقائية الاجتماعية" من خلال حصر تفاعلها مع الأفراد الداعمين والمتقبلين لها داخل المحيط الأسري، وتجنب أي احتكاك خارجي قد يسبب لها الضيق.

7. **التحليل والتفسير:** تشير معطيات هذه الحالة إلى أن الأسرة الممتدة والمجتمع يمثلان مصدراً متأرجحاً ومربكاً للدعم، حيث يمتزج تقبل الأم والزوج مع تحفظ الأقارب ونقد المجتمع. هذا التفاوت يضع الزوجة في بيئة تتطلب جهداً نفسياً للتكيف؛ إلا أن وجود "نواة مساندة عاطفية" قوية ومشجعة (متمثلة في الزوج

المتفهم والأم الداعمة) يُعدّ العامل الحاسم الذي يمدّها بالمرونة النفسية اللازمة، ويحفّزها على ابتكار آليات دفاعية (كالتركيز على العمل والأبناء) لحماية استقرارها الأسري وتجاوز رواسب النظرة الاجتماعية التقليدية الراضة للزواج المختلط.

الحالة الثانية: حالة تتلقّى مساندة اجتماعية مرتفعة.

1. البيانات الأولية للحالة: سيدة ليبية تبلغ من العمر (41) عاماً، حاصلة على درجة الماجستير، تعمل محاضرة جامعية، متزوجة من مواطن مصري الجنسية منذ تسع سنوات، ولديهما ثلاثة أبناء.

2. خلفية الحالة: نشأت في أسرة مترابطة تتكون من الأب والأم وخمسة أبناء، واتسمت العلاقة بين أفرادها بالتفاهم والدعم المتبادل، حيث وصفت طفولتها بأنها مستقرة نفسياً واجتماعياً، نتيجة لما تلقته من اهتمام وتشجيع مستمرين من والديها.

كما ذكرت الحالة أن تعارفها بزوجها تم أثناء فترة دراستها الجامعية بالخارج، حيث نشأت بينهما علاقة تكلفت بالزواج، ورغم أن الأسرة أبدت في البداية نوعاً من التردد، إلا أن هذا الرفض لم يستمر طويلاً.

3. وصف الواقع النفسي والاجتماعي: أفادت الحالة بأنها لم تواجه مشكلات جوهرية بعد الزواج؛ حيث تقبلت الأسرة هذا الارتباط تدريجياً عقب ملاحظة الاستقرار في العلاقة بين الزوجين. ومع ذلك، انتابها في السنوات الأولى نوع من التوتر الناتج عن تباين الخلفيات الثقافية وأنماط التفكير بين الأسرتين، فضلاً عن تولد شعور ملحّ لديها في بعض الأحيان بضرورة إثبات نجاح زواجها أمام الآخرين.

4. المساندة الاجتماعية: أوضحت الحالة أنها حظيت بدعم قوي ومستمر من والدتها وأشقائها، والذين حرصوا على تقديم المساندة النفسية والمعنوية لها، كما أشارت إلى تفهم الزوج لطبيعة الضغوط الاجتماعية التي تواجهها، وحرصه الدائم على توفير بيئة تشعرها بالأمان والاستقرار.

وفي السياق ذاته أكدت أن البيئة الاجتماعية المحيطة بها بدت متقبلة نسبياً لهذا الزواج، لاسيما مع مرور سنوات طويلة برز خلالها التفاهم المشترك بين الزوجين.

5. التحديات التي تواجه الحالة: ذكرت الحالة أن أبرز التحديات الراهنة تمثلت في بعض الإجراءات القانونية والإدارية المتعلقة بالأبناء، بالإضافة إلى التحديات الناجمة عن اختلاف بعض العادات والتقاليد الأسرية بين الطرفين.

6. أساليب التكيف: تعتمد الحالة على آليات التكيف النفسي والعاطفي لتنظيم الانفعالات والمشاعر الناتجة عن الضغوط، وتتنوع هذه الأساليب بين التعبير عن المشاعر، ممارسة الرياضة، الاسترخاء، والدعاء والتفكير لتخفيف حدة التوتر. كما يتسع هذا التكيف ليشمل أبعاداً سلوكية واجتماعية تتمثل في استمرارية الحوار البناء مع الزوج وتوطيد العلاقات الأسرية، حيث يشكل الدعم الأسري المستمر ركيزة جوهرية عززت من قدرة الحالة على التوافق النفسي والاجتماعي.

7. التحليل والتفسير: تشير معطيات الحالة إلى أن ارتفاع مستوى المساندة الاجتماعية يساهم بشكل مباشر في تخفيف حدة الضغوط المرتبطة بالزواج المختلط؛ إذ يعزز هذا الدعم من الشعور بالأمان النفسي، وينعكس إيجابياً على استقرارها الأسري وتماسك بيتها الصغير.

الحالة الثالثة: ضعف الدعم والمساندة الأسرية

1. **البيانات الأولية للحالة:** سيدة تبلغ من العمر (29) سنة، حاصلة على شهادة الدبلوم العالي في تخصص المحاسبة، متزوجة منذ خمس سنوات من مواطن فلسطيني الجنسية، ولديهما طفل واحد.
2. **خلفية الحالة:** نشأت في بيئة أسرية ذات مستوى اقتصادي ميسورة الحال، تتكون عائلتها من 11 فرداً أربعة أشقاء وخمس شقيقات جميعهم متزوجون ويكبرونها سنّاً، حيث تأتي هي في الترتيب الأخير كابنة صغرى للعائلة. تلقت تعليماً خاصاً، وجمعتها الصدفة بزواجها في مدينة إسطنبول التركية أثناء فترة إعدادها لرسالة الماجستير في علم الاقتصاد.
- كما أشارت إلى أن ارتباطها واجه رفضاً شديداً من عائلتها، وتحديداً من قبل والدها وبعض الأقارب؛ ويعود سبب الرفض إلى اعتبارهم الزواج من شخص اجنبي (غير مواطن) خروجاً عن العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة، لافتةً إلى أن هذا الرفض والمقاطعة استمرّا حتى بعد إتمام الزواج.
3. **وصف الواقع النفسي والاجتماعي:** أوضحت الحالة أنها عانت من عزلة نفسية واجتماعية خانقة بعد الزواج؛ وعزت ذلك إلى ضعف قنوات التواصل مع أسرتها، وندرة الزيارات العائلية المتبادلة، كما ذكرت أنها أصبحت تتجنب بشكل متعمد المشاركة في أي مناسبات اجتماعية؛ تقادياً للتعرض لأي انتقادات أو تعليقات سلبية من المحيطين بها.
4. **المساندة الاجتماعية:** أكدت الحالة أن شبكة المساندة الاجتماعية المحيطة بها ضيقة جداً؛ إذ يقتصر الدعم المتاح لها على زوجها فقط. بالمقابل تواجه غياباً تاماً للدعم الأسري من جهة عائلتها، بالإضافة إلى شعورها العام بعدم القبول والاندماج الكامل في المجتمع المحيط بها.
5. **التحديات التي تواجه الحالة:** تعاني الحالة من ضغوط نفسية ناتجة بشكل أساسي عن شعورها بالرفض والإقصاء الاجتماعي، ويسيطر عليها قلق حاد ومستمر يمس استقرار ومستقبل أبنائها، وتحديداً فيما يتعلق بمدى قبولهم وانتمائهم الاجتماعي في ظل الظروف الحالية.
6. **أساليب التكيف:** تُظهر الحالة ميلاً واضحاً نحو استخدام آلية التكيف التجنبي، والمتمثلة في الانكفاء والانسحاب من البيئة الاجتماعية المحيطة بها، وتجاهل المشكلات كاستراتيجية لتقليل الاحتكاك والتواصل مع الآخرين إلى الحد الأدنى. كما تعتمد الحالة بشكل أساسي ومحوري على مساندة زوجها ودعمه. باعتباره آلية دفاعية وحيدة لمواجهة الضغوط الحياتية والنفسية التي تمر بها.
7. **التحليل والتفسير:** تجسد هذه الحالة بشكل جلي الانعكاسات السلبية الناتجة عن ضعف المساندة الأسرية وغياب الحاضنة العائلية؛ حيث يسهم هذا الحرمان بشكل مباشر في تفاقم حدة العزلة النفسية والاجتماعية لدى الحالة.

الحالة الرابعة: حالة تعاني من ضغوط مجتمعية مرتفعة

1. **البيانات الأولية للحالة:** سيدة تبلغ من العمر (38) سنة، تعمل موظفة، متزوجة من مواطن تونسي الجنسية منذ عشرة سنوات، ولديهما 4 من الأبناء.
2. **خلفية الحالة:** نشأت في بيئة أسرية ذات دخل محدود، مما فرض عليها تحمل مسؤوليات أسرية متعددة منذ مرحلة مبكرة من عمرها، وهو ما انعكس إيجاباً على بناء شخصيتها وتطوير قدرتها العالية على الاعتماد

الذاتي. و تفيد الحالة بأن ارتباطها بزوجها قد تم بمباركة وموافقة تامة من عائلتها، إلا أنها بدأت تواجه تحديات وانتقادات اجتماعية متكررة منذ السنوات الأولى للزواج؛ نتيجة لاختلاف جنسية الزوج.

3. وصف الواقع النفسي والاجتماعي: تعبر الحالة عن شعورها بالإرهاك والاستنزاف النفسي على فترات متقطعة؛ ويعود ذلك بشكل رئيسي إلى كثرة التساؤلات والتعليقات المجتمعية السلبية المحيطة بمسألة زواجها من غير مواطن. وتزداد حدة هذه الضغوط تحديداً في الجوانب التي تمس الأبناء والجنسية والانتماء الاجتماعي.

4. المساندة الاجتماعية: أظهرت النتائج الحالة تتلقى دعماً محدوداً من أسرتها، في حين تعتمد بشكل رئيسي على الزوج والصديقات المقربات للحصول على الدعم النفسي.

5. التحديات التي تواجه الحالة: تبرز النظرة المجتمعية السلبية تجاه "الزواج المختلط"، كأحد أهم التحديات، بالإضافة إلى العقوبات القانونية المرتبطة باستخراج الأوراق الرسمية للأبناء.

6. أساليب التكيف: تُظهر الحالة اعتماداً واضحاً على استراتيجيات الدعم النفسي الاجتماعي من الآخرين، إذ تتبع أسلوب "التجاهل" إزاء الانتقادات السلبية، كما تولي اهتماماً بالغاً بالمحافظة على استقرارها الأسري، وتأسيس علاقات إيجابية داعمة. وتُصنف هذه الآلية واحدة من أنجح الوسائل في تخفيف وطأة الضغوط الاجتماعية، ولا سيما الأسرية والزوجية منها.

7. التحليل والتفسير: تُبين الحالة أن الضغوط المجتمعية قد تستمر وتلتقي بظلالها حتى في ظل وجود قبول أسري نسبي؛ مما يبرز الدور الجوهري والحيوي الذي يلعبه الدعم النفسي من قبل الزوج والأصدقاء في تعزيز قدرة الحالة على التكيف.

الحالة الخامسة: حالة تتمتع بتكيف نفسي مرتفع رغم التحديات

1. البيانات الأولية للحالة: سيدة ليبية تبلغ من العمر (48) سنة، حاصلة على مؤهل عالٍ، متزوجة منذ خمسة عشر عاماً من مواطن فلسطيني الجنسية، ولديهما خمسة من الأبناء.

2. خلفية الحالة: نشأت الحالة في بيئة أسرية متوسطة الدخل، تتكون من والدين وثلاثة أشقاء، تربيها بين المحيط الأسري هي "الأخت الكبرى"، وتتسم علاقتها بأفراد أسرتها بالاستقرار والروابط الطيبة.

3. وصف الواقع النفسي والاجتماعي: جاء قرار ارتباطها نابغاً من قناعة شخصية راسخة وإرادة مستقلة، مدعومة بوعي كامل وإدراك مسبق لطبيعة التحديات والصعوبات المترتبة على تجربة (الزواج المختلط).

وعلى الرغم من مواجهتها لبعض العقوبات الاجتماعية في بداية زواجها، إلا أنها تمكنت بمرور الوقت من تجاوزها، وبناء حياة أسرية مستقرة، واكتساب مرونة أعلى في التعامل مع الضغوط المجتمعية.

4. المساندة الاجتماعية: يمثل الزوج المصدر الأساسي والمحوري للدعم النفسي للحالة. كما تلقت الحالة دعماً تدريجياً من أسرتها (أهلها) بعدما أثبتت نجاح واستقرار حياتها الزوجية على أرض الواقع.

5. التحديات التي تواجه الحالة: تتركز مخاوف الحالة حول الجوانب القانونية المتعلقة بمستقبل أبنائها، إلا أنها ترى أن الاستقرار الأسري الداخلي ساهم بشكل كبير في تخفيف حدة وقوة تأثير هذه الهواجس.

6. أساليب التكيف: تعتمد الحالة على استراتيجية التكيف الإدراكي أو إعادة تفسير الموقف، ومن أبرزها التفكير الإيجابي تجاه الموقف الضاغط وإعادة التأطير المعرفي للمشكلات، وتحويله من تهديد إلى تحدٍّ يمكن مواجهته أو رؤية الجوانب الإيجابية في الموقف، وتساعد هذه الطريقة في تقليل التوتر النفسي وزيادة القدرة على التعامل بفعالية مع المواقف الاجتماعية الصعبة، وذلك من خلال اعتماد الحوار الأسري الفعال كأداة لحل المشكلات، و توسيع شبكة العلاقات الاجتماعية الداعمة، بالإضافة إلى الارتكاز على الثقة بالنفس كعامل حماية أساسي في مواجهة الضغوط.

7. التحليل والتفسير: تعكس هذه الحالة نموذجاً جلياً لقدرة بعض الزوجات على تحقيق مستوى مرتفع من التكيف النفسي والاجتماعي رغم وجود بيئة محيطة مليئة بالتحديات. ويُعزى هذا النجاح في التكيف إلى تضافر عاملين رئيسيين: **عامل خارجي** متمثل في المساندة الزوجية القوية، و **عامل داخلي** متمثل في السمات الشخصية للحالة، والوعي المسبق، والقدرة العالية على إدارة الضغوط وتوظيف آليات التكيف الإيجابية.

الحالة السادسة: حالة تتلقى مساندة اجتماعية متوسطة ومتذبذبة

1. البيانات الأولية للحالة: سيدة ليبية تبلغ من العمر (34) عاماً، حاصلة على درجة البكالوريوس في تقنية المعلومات، وتعمل في قطاع الاتصالات، متزوجة منذ 7 سنوات من مواطن جزائري الجنسية (يعمل كخبير تكنولوجي)، ولديهما طفلان، ويستقران حالياً في ليبيا.

2. خلفية الحالة: بدأ التعارف بين الحالة و زوجها من خلال بيئة العمل، إثر مشاركتها في مشروع تكنولوجي مشترك بين شركتين زميلتين، وتطور الأمر لاحقاً إلى رغبة متبادلة في الارتباط. واجه قرار الزواج في بدايته معارضة شديدة من قبل والدها وأشقائها الذكور؛ مبررين ذلك بالبُعد الجغرافي واختلاف النمط المعيشي، في حين أبدت والدتها وشقيقاتها مرونة ودعماً كبيراً. تكللت محاولات الإقناع المتكررة بالنجاح، حيث استقر الزوجان في ليبيا نظراً لطبيعة عمل الزوج كخبير تكنولوجي.

3. وصف الواقع النفسي والاجتماعي: عاشت الحالة فترات عصيبة من الضغط النفسي وصراع الأدوار في بداية الزواج، حيث كانت تشعر دائماً بأنها تحت المجهر والرقابة من قبل عائلتها الممتدة لإثبات صحة قرارها. كما وصفت شعورها بالتمزق أحياناً بين إرضاء ثقافة زوجها في إطار بيتها الصغير، وبين الالتزام بالمعايير الاجتماعية الصارمة لعائلتها في المناسبات العامة، مما ولد لديها قلقاً مستمراً من حدوث أي صدام ثقافي.

4. المساندة الاجتماعية: أوضحت الحالة أن المساندة الاجتماعية التي تتلقاها تعتبر "متوسطة ومتأرجحة"؛ فالدعم يأتي بشكل أساسي من والدتها وشقيقاتها عبر الاتصالات المستمرة والمواظرة العاطفية، بينما يتعد أشقائها الذكور عن تقديم أي دعم مباشر ويحافظون على علاقة رسمية وجافة مع زوجها. أما من جانب الزوج، فقد أكدت أنه يمثل ركيزة نفسية قوية لها، حيث يتسم بالمرونة والاحتواء ويسعى دائماً لتجنيبها المشاحنات، في حين تظل البيئة الاجتماعية الخارجية (الجيران ومحيط العمل) تتأرجح بين الفضول والتقبل المشروط.

5. التحديات التي تواجه الحالة: تتمثل أبرز التحديات في القلق الدائم من مسألة تجديد إقامات الزوج السنوية وصعوبة الإجراءات الإدارية، بالإضافة إلى التحدي التربوي المتعلق بالهوية الثقافية للأبناء (مثل

اختلاف اللهجة وبعض العادات اليومية)، فضلاً عن شعورها بالعبء النفسي الناتج عن دور "الوسيط" الدائم لتقريب وجهات النظر بين زوجها وإخوتها.

6. أساليب التكيف: تعتمد الحالة في مواجهة هذه الضغوط على أسلوب "العزل الذكي"، حيث تحرص على وضع حدود واضحة بين خصوصية حياتها الزوجية وبين تدخلات العائلة. كما تعتمد على لغة الحوار الصريح واليومي مع الزوج لتفريغ الشحنات الانفعالية، والتركيز على نجاحها المهني وتميز أبنائها الدراسي كوسيلة لتعزيز ثقتها بنفسها وإثبات نجاح خيارها أمام محيطها.

7. التحليل والتفسير: تشير معطيات هذه الحالة إلى أن تذبذب مستوى المساندة الاجتماعية (بين دعم الأم والزوج، وتحفظ الإخوة) يضع الزوجة في حالة تأهب نفسي مستمر مستهلك للطاقة. ومع ذلك، فإن وجود "نواة دعم" صلبة داخل الأسرة الصغيرة (التفاهم الزوجي ومساندة الأم) يمثل العامل الحاسم الذي يمنع انهيار التوافق الأسري، ويكسب الزوجة مرونة أعلى في ابتكار آليات تكيف دفاعية تحمي استقرارها النفسي والاجتماعي.

التحليل العام (لجميع الحالات)

من خلال العرض السابق للحالات أوضحت نتائج المقابلة أن المساندة الاجتماعية تمثل عاملاً أساسياً في تخفيف الضغوط النفسية والاجتماعية التي تواجه الزوجات الليبيات المتزوجات من أجنبي، خاصة عندما يكون الدعم صادراً من الأسرة أو الزوج.

كما بينت أن ضعف التقبل المجتمعي يُعزى إلى طبيعة الثقافة الاجتماعية السائدة التي ما تزال تنظر بحذر إلى الزواج من خارج المجتمع، خاصة بالنسبة للمرأة الليبية. كما أن عدم التقبل قد يؤدي إلى شعور بعض الزوجات بالعزلة والضغط النفسي، والوقوع تحت المجهر والرقابة المجتمعية لإثبات صحة قرارهن (كما في الحاليتين الأولى والسادسة)، وهو ما يؤكد أهمية تعزيز الوعي المجتمعي بأهمية المساندة الاجتماعية لهذه الفئة.

كما يتضح أن ضعف المساندة الاجتماعية أو تذبذبها بين الدعم والتحفظ قد يؤدي إلى انخفاض التكيف النفسي ووضع الزوجة في حالة تأهب دائم مستهلك للطاقة، وهو ما تؤكد الأدبيات النفسية المتعلقة بالدعم النفسي الاجتماعي.

كما بينت الحالات إلى أن المساندة الاجتماعية، خاصة الدعم الأسري والعاطفي تسهم بصورة كبيرة في تعزيز التكيف النفسي والاجتماعي للزوجات الليبيات في ظل الزواج من أجنبي، كما يظهر أن ضعف التقبل المجتمعي قد يشكل مصدر ضغط نفسي مستمر، حتى في ظل وجود استقرار أسري نسبي أو تفاهم زوجي.

من خلال التحليل الدقيق وتفريغ المعطيات الواردة في المقابلات الخاصة بالحالات المذكورة، يمكن تصنيف أشكال وأنماط المساندة الاجتماعية التي حظيت بها الزوجات الليبيات في سياق زواجهن من أجنبي إلى أربعة أنماط جوهرية ومتراكبة فيما بينها.

يعكس هذا التصنيف تباين مصادر الدعم وتأثيرها على الاستقرار النفسي والتكيف الاجتماعي للحالات:

1. المساندة الزوجية (العاطفية والنفسية)

تمثل هذا النمط في كونه المصدر المشترك والأكثر ثباتاً واستدامة في جميع الحالات، حيث ظهر كعامل حماية أساسي لتخفيف الضغوط الخارجية.

• واقع الحالات:

- في الحالات (الأولى، الخامسة، والسادسة) كان الزوج متفهماً للمشاعر، وحريصاً على الدعم العاطفي، ومثل في الحالة السادسة ركيزة دعم نفسي قوي يتسم بالمرونة والاحتواء لتجنب زوجته المشاحنات.
- في (الحالة الثالثة) التي تعاني من ضعف المساندة الأسرية، كان الزوج هو المصدر الوحيد للدعم، وبدونه كانت الحالة ستواجه انهياراً كاملاً في التوافق النفسي.

• **مضمون المساندة:** توفير الأمان، الاستقرار، الحوار المستمر، وتفهم طبيعة الضغوط الاجتماعية التي تواجهها الزوجة.

2. المساندة الأسرية (المساندة من الأهل والأقارب)

اتسم هذا النمط بالتفاوت والتدرج والتذبذب؛ حيث تراوح بين الدعم المطلق، والرفض المستمر، أو الدعم المشروط ببعض أفراد الأسرة دون غيرهم، وكان للأُم دور محوري فيه.

• واقع الحالات:

- **مساندة مرتفعة ومشروطة بالوقت:** مثل الحالة (الأولى والثانية والخامسة) حيث بدأت الأسر برفض أو تردد تدريجي (خوفاً من اختلاف العادات والتقاليد)، ثم تحول الموقف إلى دعم ومساندة بعد ملاحظة استقرار ونجاح الحياة الزوجية. وكانت الأم في الغالب (كما في الحالتين الأولى والثانية) هي المصدر الأساسي لهذا الدعم المعنوي.
- **مساندة متوسطة ومتذبذبة:** مثل (الحالة السادسة) حيث اتسمت المساندة بالتأرجح؛ فبينما قدمت الأم والشقيقات دعماً ومؤازرة عاطفية مستمرة، غاب هذا الدعم من قبل الإخوة الذكور الذين حافظوا على علاقة رسمية وجافة مع الزوج، مما جعل الزوجة تتحمل عبء دور "الوسيط".
- **مساندة غائبة أو ضعيفة:** مثل الحالة (الثالثة والرابعة) حيث استمر رفض الأب والأقارب (الحالة الثالثة) مما أدى إلى انقطاع التواصل والعزلة النفسية.

3. المساندة المجتمعية والبيئية (القبول أو الرفض الاجتماعي)

يرتبط هذا النمط بنظرة المجتمع الليبي التقليدية للزواج من أجنبي، وظهر في الغالب كـ مصدر ضغط بدلاً من كونها مصدر مساندة، باستثناء حالات محدودة.

• واقع الحالات:

- **بيئة متقبلة نسبياً:** ظهرت في (الحالة الثانية) بعد مرور سنوات طويلة على الزواج وإثبات التفاهم.
- **بيئة ضاغطة وسلبية (أو متقبلة بشرط):** كما في الحالات (الأولى، الثالثة، الرابعة، والسادسة)، وتجسدت في التعليقات السلبية، كثرة التساؤلات حول هوية الأبناء وجنسياتهم وانتمائهم الاجتماعي،

وتأرجح محيط العمل والجيران بين الفضول والتقبل المشروط (الحالة السادسة)، بالإضافة إلى التعقيدات القانونية والإدارية المتعلقة بالإقامات والأوراق الرسمية، مما دفع بعض الحالات (مثل الحالة الثالثة) إلى الانسحاب الاجتماعي تجنباً للضيق.

4. المساندة غير الرسمية (شبكات الأصدقاء والبيئة الموازية)

يلجأ إلى هذا النمط كآلية تعويضية (بديلة) أو دفاعية عندما تضعف المساندة الأسرية أو تزداد الضغوط المجتمعية، بهدف خلق بيئة نفسية آمنة وإثبات نجاح قرار الزواج.

• واقع الحالات:

- ظهر هذا النمط بوضوح في (الحالة الرابعة) التي تواجه ضغوطاً مجتمعية مرتفعة ودعماً أسرياً محدوداً، حيث اعتمدت الزوجة بشكل كبير على الصديقات المقربات للحصول على التفرغ والمساندة النفسية.
- يمتد هذا النمط ليشمل محاولات الزوجات في التكيف عبر "العزل الذكي" والانتقائية الاجتماعية، والتركيز التام على النجاح المهني وتميز الأبناء كوسيلة لتعزيز الثقة بالنفس وإثبات نجاح خيارهن أمام محيطهن الاجتماعي (كما في الحالات الأولى، الخامسة، والسادسة).

خلاصة تحليلية:

يتضح من واقع الحالات أن "المساندة الزوجية" هي المتغير الثابت والأهم في معادلة التكيف النفسي، بينما تلعب "المساندة الأسرية" دور المرجح؛ فإذا تحولت من الرفض إلى القبول (دعم متدرج) ساهمت في تسريع التكيف (الحالتين 2 و5)، وإذا اتسمت بالتذبذب والانقسام بين أفراد الأسرة وضعت الزوجة في جهد نفسي مستمر (الحالة 6)، وإذا استمرت في الرفض قادت الزوجة إلى العزلة والانسحاب الاجتماعي (الحالة 3).

التوصيات:

يمكن صياغة مجموعة من التوصيات نابعة مباشرة من عمق المعاناة والاحتياجات التي عبرت عنها الحالات المستهدفة في المقابلات.

- تسهيل إجراءات الإقامة والمعاملات الإدارية (كالتعليم والصحة)، حيث إن الاستقرار القانوني يمثل ركيزة أساسية للأمن النفسي والاجتماعي للزوجة.

- إنشاء وحدات قانونية تابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية تختص بتقديم المشورة والمعلومات الدقيقة للراعايا الليبيات المقبلات على الزواج من أجنبي أو المتزوجات بالفعل، لتعريفهن بحقوقهن وواجباتهن وتجنبيهن الصدمات الإدارية.

- إطلاق حملات إعلامية وتوعوية عبر وسائل الإعلام ومنصات التواصل الاجتماعي لتعزيز قيم تقبل الآخر، والحد من "الوصم الاجتماعي" أو الرفض الأسري الذي قد تتعرض له الزوجة، والتركيز على البعد الإنساني والديني الذي يكفل حرية الاختيار.

- تصميم برامج إرشادية متخصصة في مراكز الدعم النفسي تهتم بـ "الزواج مختلط الثقافات"، لمساعدة الزوجين على فهم الفروق الثقافية والقيمية، وتدريب الزوجة على استراتيجيات التكيف الإيجابي وآليات مواجهة الضغوط.

- تنظيم جلسات إرشاد عائلي تستهدف أسر الزوجات الليبيات (الوالدين والإخوة) لتوعيتهم بأهمية دورهم كـ "سند عاطفي أساسي"، وتوضيح المخاطر النفسية والاضطرابات التي قد تصاب بها ابنتهم في حال غياب دعمهم أو ممارسة الضغط عليها.

- إجراء دراسات مسحية كمية على عينات أكبر في مختلف المدن الليبية (شرقاً، وغرباً، وجنوباً) لقياس مدى انتشار الظاهرة وتحديد الفروق في مستويات المساندة الاجتماعية تبعاً للمنطقة الجغرافية أو جنسية الزوج.

- توصية الباحثين بإجراء دراسات مستقبلية تركز على "أبناء الليبيات المتزوجات من أجانب"، لبحث آليات تكيفهم وهويتهم الثقافية والضغط التي يواجهونها في البيئة المدرسية والمجتمعية.

- تتبع حالات من الزوجات الليبيات عبر فترات زمنية ممتدة (منذ بداية الزواج، مروراً بإنجاب الأطفال، وحتى استقرار الأسرة) لرصد تحول مصادر المساندة الاجتماعية وتغير آليات التكيف مع مرور الوقت.

قائمة المراجع:

- بسيس، عرفات رجب. (2021). إشكاليات زواج الليبيات من الأجانب بين القانون الليبي والالتزامات الدولية: "حق أولاد الزوجة الليبية في الحصول على جنسية الأم أنموذجاً". *مجلة القانون والعلوم السياسية*.
- تايلور، شيلي. (2008). *علم النفس الصحي ترجمة: (وسام درويش بريك وآخرون)*، الطبعة الأولى، عمان، الأردن: دار الحامد للنشر والتوزيع.

- حمي، مصطفى محمد اللوتي. (2024). الزواج من غير الليبي بين المنع والإباحة: "دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون". *مجلة العلوم القانونية، جامعة المرقب - كلية القانون، المجلد 12، العدد 1*.

- الرجباني، امراجع مادي بركة. (2022). مبدأ المساواة وإشكالية جواز منح أبناء الليبيات المتزوجات من الأجانب الجنسية الليبية *مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية، المعهد العالي للعلوم والتقنية - الأبيار، ليبيا*.

- سعود، سامية ابرير، وسعيد، محمد. (2020). الامتزاج الثقافي والزواج المختلط *مجلة الفكر المتوسطي، المجلد 9، العدد 1، 161-184*.

- صبح، نزيهة علي صالح، والحبيشي، هناء محمد مصباح. (2022). تصور مقترح للحد من الآثار الاجتماعية والنفسية المترتبة على زواج الفتاة الليبية من أجنبي من منظور مهنة الخدمة الاجتماعية *المجلة الأكاديمية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 22*.

- الصيد، يوسف محمد أبو القاسم. (2021). زواج النساء الليبيات من الأجانب- المشاكل والحلول: دراسة ميدانية بالجنوب الليبي *مجلة أبحاث، جامعة سرت - كلية الآداب، العدد 17*.

- عبد الله، هشام إبراهيم. (1995). المساندة الاجتماعية وعلاقتها بالاكنتاب واليأس لدى عينة من الطلاب والعاملين. *المؤتمر الدولي للإرشاد النفسي للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، مركز الإرشاد النفسي بجامعة عين شمس، القاهرة، 473-513*.

- عصمت، تحسين عبدالله. (2016). *علم اجتماع الزواج والأسرة، الطبعة الأولى، عمان، الأردن: دار الجنادرية للنشر والتوزيع*.

- غباري، ثائر أحمد، وأبو شعيرة، خالد محمد. (2013). *التكيف: مشكلات وحلول، الطبعة الأولى، عمان، الأردن: دار الإعصار للنشر والتوزيع.*
- قشقش، زهرة سالم، والحاج، إلهام محمد. (2020). *الآثار النفسية والاجتماعية للزواج المختلط في المجتمع الليبي بحوث المؤتمر العلمي الدولي الأول حول الزواج المختلط بين الواقع والمأمول (تحت شعار: "الزواج سكينة.")*
- محمد، فايد حسين علي. (1998). *الدور الدينامي للمساندة الاجتماعية في العلاقة بين ضغوط الحياة المرتفعة والأعراض الاكتئابية مجلة دراسات نفسية، المجلد 8، العدد 2، الإسكندرية، مصر: المكتب الجامعي الحديث.*
- النعمي، أسماء خليل. (2018). *ظاهرة زواج الليبيات من الأجانب: أسبابها وآثارها الاجتماعية مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية، المجلد 1، العدد 26، دار رؤية للطباعة.*
- الهنشيرى، نجية علي عمر. (2021). *مشكلات الزواج المختلط في مدينة يفرن: "دراسات حالة". مجلة أسئلة ورؤى، المجلد 2، العدد 4.*